التقارب بين اللغة المصرية واللغة الليبية القديمة

nipic.com

د. أحمد عبدالحليم دراز
أستاذ مساعد تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بآداب المنوفية

د. هدى عبدالله قنديل
أستاذ مساعد اللغة المصرية القديمة بكلية السياحة والفنادق
جامعة المنوفية

العدد الثامن والثلاثون
يناير ٢٠١٢م

يتناول البحث دراسة تحليلية للأوجه التقارب بين اللغة المصرية و الليبية القديمة من حيث أوجه التشابه المقبولة بين بعض أفعال و أسماء اللغتين ، والعوامل ساعدت علي التقارب بين اللغتين

ففريق يرى في اللهجات الأمازيغية (البربرية) أنها من أصل لغة قديمة لها خصوصيتُها المختلفة عن اللغة العربية. وفريق ثان يرى أنها أخت اللهجات العربيات التي كانت متداولة في شبه جزيرة العرب، خصوصاً في جنوبها. وفريق ثالث يقول أنها أخت الأكدية والكنعانية والمصرية القديمة. وفريق رابع يرى أن اللغات السالفة الذكر كانت أساس اللغة العربية الحديثة (العدنانية)، وبالتالي فإن لهجات كل العرب -مشارقة ومغاربة- تدفقت من نبع واحد. وما ينطبق على اللهجات ينطبق أيضاً على مقومات تراثية أخرى كالعادات والتقاليد والفن والمراسم الاحتفالية المختلف وغيرها.[1]

فاللغة جزء مهم من تاريخ البشرية، بل هي وثيقة حية لها قيمتها التاريخية كغيرها من الوثائق، خصوصاً لدى أمة أو شعب لا وثائق واضحة له، فتكون اللغة وعلومها مجالاً خصباً لمعرفة الكثير من تاريخ تلك الأمة أو ذاك الشعب. ولعل هذا ينطبق على سكّان المغرب العربي الكبير ممن يُعرفون حاليا بالبربر أو الأمازيغ المميزين لغوياً عن بقية السكان العرب، ويُعتبر جميعهم امتداداً تاريخياً وحضارياً لما عُرف منذ القديم بقدماء الليبيين. وإذا كانت اللغة الليبية القديمة قد اندثرت في سجلات التاريخ، فإن اللهجات البربرية الأمازيغية المنتشرة حالياً بين كثير من السكان، تُعد مصدراً مهماً لربط الصلة بين تاريخهم القديم والحديث، وتوفر كثيراً من المعلومات حول أصولهم الأولى. لذآ كان التركيز على اللهجات الأمازيغية المتعددة، وهي تُعد بالآلاف، واختيار بعضها لتأثيلها وتأصيلها ومقارنتها مع غيرها من اللهجات العربيات القديمة لاسيما اللغة العربية الحديثة المنبثقة -هي الأخرى- من العربيات القديمة، وبالتالي يكون مصدر اللغتين -العربية الحديثة والليبية القديمة- واحداً دون ريب. ولبلوغ هذه الغاية يلتجئ الباحث إلى معاجم اللغة

العربية كاللسان لابن منظور والعين للفراهيدي، وذلك بعد إرجاع المصطلح إلى جدره الأصلي ليصير قابلاً للتأثيل والتأصيل، ومن ثم البحث عما يكافئه في اللفظ الفصيح. ولغياب النصوص التاريخية المدونة باللغة الليبية القديمة، فقد يعتمد هذا البحث على أسماء ومسميات الأماكن والأشخاص والقبائل التي بقيت على حالها منذ القديم، قبل الغوص في لهجات البربر الأمازيغ الحالية وسبر أغوار المصطلحات التي لم تتأثر بالفتح الإسلامي حتى لا نحكم على أنها عربية منذ البداية. وللكتابة أهميتها التاريخية، فهي الأداة التي تصوّر اللغة وتجعلها مرئية ومقروءة، كما أنها وثيقة حية تعبّر عن شخصية اللغة وأصحابها، وتضفي عليهم السمة الحضارية والثقافية الضروري لمعرفة تاريخهم وأصولهم وانتماءاتهم الأولى. [٢]

يكاد يكون المسلم به انه في تاريخ حضارة الصحراء كانت هناك لغة ما تزال موجودة ، و لكنها تغيرت عن صورتها الأصلية البعيدة و من المفروض أنه كانت هناك لغة أم متعددة اللهجات و يسميها البعض باللغة البربرية ، و هي تعد ضمن عائلة اكبر هي الحامية السامية و لكنها تغيرت عنها و انفصلت منذ زمن بعيد ، ويبدو ان هذه اللغة دخلت الصحراء من الشمال الشرقي مع المهاجرين من الشعوب البيضاء ، و قد ظهرت كتابة صحرواية في وقت متأخر تعرف باسم " تيفيناغ " مشتقة من الابجدية الليبية .

و من المعروف ان اللغة المصرية ، حتي في أقدم مراحلها تحوي عنصرا (بربريا) أوليا و هو عنصر ذو طبيعة عميقة الجذور ، و رغم طبيعة الفعل (السامية) في اللغة المصرية القديمة فإنه حتي في هذا الجانب المهم من اللغة تشارك البربرية بعض الملامح ، و زيادة علي ذلك فإن في اللغتين كليتهما جذور ضمائر ذات صلة بعضها ببعض ، و هما تصوغان الجمع و الضمائر المنفصلة بنفس الطريقة ، و كلتاهما تصوغان جمع المؤنث باسلوب متقارب للغاية ، و في الاثنتين يستعمل حرف " ن " علامة غير مباشرة ، و فيهما معا تعامل المجردات و اسماء الجمع باعتبارها جموعا قواعدية (نحوية) و إلي جانب هذا الضرب من الصلات فإن مقارنة

المفردات المصرية و (البربرية) تظهر أن في اللغتين عددا من الكلمات الأصلية البدئية المشتركة [٣]

كان من الممكن ان تكون اللغة عاملا مساعدا في الاصول الحضارية المشتركة لأقطار الشمال الإفريقي ، و كان من الممكن أن تسود الشمال الإفريقي عدة لغات ، أو أن تكون هناك لغة واحدة لها عدة لهجات ، و من المعروف لنا جميعا أن الكتابات التصورية المبنية علي تمثيل الموضوعات المراد الإشارة اليها ، هي الوسيلة الأولي التي استعملها الإنسان القديم ، من أجل التواصل و التخاطب ، و التي مثلت في البداية بشكلها و حجمها الطبيعي لتتحول بعد ذلك تدريجيا إلي أشكال تخطيطية و شارات و رموز و صور اصطلاحية ، رسمت علي جدران الكهوف و الصخور من أجل تدوين الأحداث و القصص و الرسائل ، لذلك تعد إبدعات الرسوم و النقوش الصخرية في شمال أفريقيا تلك الأشكال الآدمية و الحيوانية التي تعود إلي العصر الحجري الحديث، و التي تميزت بالواقعية ، حيث كانت الأشكال تصور بالحجم الطبيعي و التفاصيل الدقيقة للجسم و ما يوحي بأن الرسام كان مهتما بالأشكال الآدمية عامة و ليس بشخصيات معينة ، ثم حدثت تطورات عديدة إلي أن أصبحت تصور الأشكال الآدمية بأساليب تخطيطية و تجردية ، أي أنها ابتعدت عن الواقعية ، و كان ذلك في العصر البرنزي و البرنزي الحديدي ، و هذا يشير إلي أن التطور كان تدريجيا نتيجة تطور المعني و الهدف من رسم الأشكال [٤]

من دراسة هذه الأشكال الآدمية التخطيطية التي كانت تحوي عددا من الحيوانات التخطيطية أيضا ، و كذلك مجموعة من الإشارات ، يمكن القول أن هذه الأشكال بها معني رمزي و فكرة معينة ، و أنها رتبت وفق منهج محدد و مدروس ، أي أن هذا التكرار في التركيب و الترتيب للأشكال كان له دور رمزي تخاطبي خاص ، قد يدل علي تصوير رسالة معينة ، كما كان هناك علامات اصطلاحية استعملت لتحديد الهوية و الانتماءات القبلية و تحديد الملكية ، فمنذ العصر الحجري الحديث كانت المجموعات البشرية تعبر

عن حدود أراضيها من خلال رسم حيوان معين أو قرون الحيوان بأسلوب محدد ، بمعني أن كل مجموعة أو قبيلة كانت لها علامة محددة ، يتم من خلالها التعرف علي أملاكها ، أي أنه في حالة ترحال جماعة أو قبيلة ، عندما تجد علامة تمثل رسما أدميا أو حيوانيا أو شكل هندسي فهذا دليل علي بداية أملاك قبيلة أخري ، و بالتالي لا يمكن تجاوز هذه العلامة ، و يرجح أن هذه العلامات الدالة علي الملكية ربما لها دلالات مرتبطة بالفكر الديني و الحياة الاجتماعية لإنسان العصور الحجرية .

من هنا يمكن القول إن أهمية ظاهرة الرسوم تكمن في أنها كانت بمثابة علم لدلالات الألفاظ ، و نظاما للأتصال الرمزي لدي المجتمعات البدائية ، نشأ و تطور منذ ظهور الفن الصخري ، أي أن الفن الصخري كان هو المصدر الأول للتعبير في العصور الحجرية ، بما تضمنه لمفاتيح اللغة ، من حيث الشكل و النمط و التركيب ، حيث قام الإنسان بتدوين الأحداث و القصص و الرسائل ، من خلال الرسوم الصخرية ، و هناك اعتقاد يري أصحابه أن تطور الكتابات التصويرية تختلف زمنيا من منطقة إلي أخري علي الرغم من التشابه بل التطابق الواضح بين بعض الأحرف من الكتابات البدائية في الصحراء الكبري و الحبشة و الهكاز و تسبلي و كتابة التفيناغ ، مما أثار لدي أصحاب هذا الاتجاه العديد من التساؤلات منها ، هل هذا التشابه صدفة أم هو وليد تبادل بشري و ثقافي بين هذه المناطق [٥] و الحقيقة أن ظاهرة النقوش الصخرية – علي الرغم مما أستثارته من جهود العلماء علي مدي العقود الأخيرة و محاولاتهم تقسيرها – فإنها لا تزال تضن علينا بمضامينها و دلالاتها ، و كل ما نجحت فيه جهود العلماء هي محاولات للتفسير ،في ضوء ما تبقي من عادات المجتمعات الصحرواية الحالية و تقاليدها ، و يعتقد الباحثين أن الامر بحاجة إلي أن يطل علينا الزمان بأكثر من عبقري ممن تضاهي عبقريتهم " شامبليون " الذي استطاع أن يدفع بجهود العلماء ألي حل رموز الكتابة المصرية القديمة التي كانت في وقت من الاوقات يقف منها العلماء موقفنا الحالي من موضوعات النقوش الصخرية ، فالكتابة المصرية فسرت علي كونها أشكالا سحرية و

تعاويذ لا يعلمها إلا أصحابها ، و شئ من هذا يقال عن موضوعات النقوش الصخرية ، و يعتقد الباحث أن هذا الكم الهائل من النقوش و الرسوم الصخرية في الصحراء ، و هذا الجهد الخارق في تنفيذها ، يخرج بها عن التفسيرات التي قيلت بشأنها ، فهذا التراث الهائل من النقوش و الرسوم الصخرية كانت بمثابة الإرهاصات الأولي نحو ميلاد لغة صحرواية أم ، و أن هذه العملية توقفت في إحدي مراحلها ، ربما لأنه لم يتوفر لها من العوامل و الظروف المساعدة لتصبح من بعد لغة مكتوبة و مقروءة ، و لشرح الفكرة نذكر أن اللغات القديمة المكتوبة التي ظهرت في أرض العراق القديم كالسومرية أو في وادي النيل كالكتابة المصرية القديمة فكل من اللغتين كانت في مراحلها الأولي صورا لحيوانات أو طيور أو أشياء مأخوذة من بيئتها المحلية ، و أن هذه الصورة التي كونت بعد ذلك المقاطع و الحروف ثم الكلمات و الأفعال التي أصبحت مفردات متفق عليها ، و مألوفة لدي الجميع ، و مما ساعد علي استمرار مراحل التطور أن كلا من اللغتين وجدتا في بيئتهما من العوامل المساعدة التي يسرت لها هذا التطور ، و أدت إليه ، ففي العراق القديم وجدت بوفرة مادة الطين المتوفرة في بيئة غرينية ، فكانت ألواح الطين (الرقيم) الذي كان من السهل الضغط عليه بأية أداة صلبة ، و اخترع الخط المسماري و تطورت أشكاله ، أما في مصر ،استطاع المصريون أن يستخلصوا من نبات البردي صناعة الورق ، و كان يلزم الكتابة عليه مدادا فكونوه من السناج ، أما القلم فكان عودا من بوص ،مما ينمو بكثرة علي شواطئ النهر أو بحيراتهم . و علي ذلك لو توفرت لمجتمعات أصحاب النقوش و الرسوم الصخرية من عناصر البيئة ما يسر لها أن تكون أدوات و وسائل التعبير بديلا عن الصخور ، و لو لم تتغير الظروف البيئية التي أجبرتها علي تغيير بيئاتها الأصلية و الهجرة ، فعلي ذلك يفترض أننا كنا قد امتلكنا الآن لغة أم عظيمة ، تحكي لنا ضمن موضوعاتها فصلا عظيما من حياة إنسان الشمال الإفريقي .

أولا : عوامل التقارب بين اللغتين

لم يتأت ما بين اللغة المصرية القديمة و أخواتها من تقارب نتيجة لعامل واحد بالضرورة ، و إنما يرجح أنه ترتب علي عوامل متشابكة كثيرة . ففضلا عن وحدة الجنس البعيدة بين مصر و جيرانها ، و عامل الاختلاط الجنسي المتقطع بينهما ، توفرت فرص الاتصال الثقافي و التشابك اللغوي بين أهليهما عن طريق الأخذ و العطاء في مجالات التجارة ، و الأخذ و العطاء في مراسلات الود بين الحكام و خلال فترات المد السياسي من جانب علي جانب آخر (و كان من جانب المصريين في أغلب الاحوال) ثم عن طريق شيوع لهجات الأرقاء و العمال و أسري الحروب الذين استقروا في مصر و أنجبوا فيها .[٦]

و علي هذا فالتقارب بين اللغة المصرية و الليبية لم يكن نتيجة عامل واحد و انما ترتب علي عوامل متشابكة كثيرة منها وحدة الجنس بين مصر و ليبيا و عامل الاختلاط اللغوي بين أهليهما عن طريق التبادل التجاري و خلال فترات المد السياسي ، ثم عن طريق شيوع لهجات الرقيق و العمال و الاسري الذين استقروا في مصر

و لا يجادل أحد في تقارب اللغات المصرية و النوبية و الليبية القديمة ، بل وحدتها و لكن ليس معني أن يكون أهلها أفارقة أن تعتبر لغتهم " أفريقية " بمعني انفصالها عن اللغات العروبية ، و قد أصبح من المسلم به أن ما كان يدعي اللغات الأفريقية (و تسمي الحامية) العروبية ليست في الواقع إلا فروعا من لغة أم و احدة .

بالنسبة للغة النوبية ، فقد اختلف في أصل النوبة ، فمن قائل إنهم ليبيون انحدروا من الشمال إلي بلاد النوبة و دفعوا القبائل الزنجية جنوبا و احتلوا أماكنهم ، و من قائل إنهم نزحوا إليها من آسيا عن طريق البحر الأحمر ، و لكل وجهة و دليل يستند إليه و لسنا نعرف باضبط كيف و أين نشأت اللغة النوبية ، أهي لغة أفريقية نشأت في قلب أفريقيا ، أم آسيوية انتقلت من آسيا إلي أفريقيا ؟ هناك ثلاثة احتمالات لا بأس من الاشارة إليها :

الأول : أنها أفريفية نشأت في أفريقيا في نفس مكانها الحالي .

الثاني : أنها لغة الكوشيين الذين انتقلوا إلي أفريقيا من آسيا .

الثالث :أنها لغة القبائل الليبية التي نزحت من الشمال و دفعت القبائل الزنجية جنوبا و احتلت مكانها .

و يري (محمد متولي بدر) أن النوبية لغة قديمة قائمة بذاتها و ليست هي المصرية القديمة ، و إن كان ثمة تشابه كبير بين اللغتين ، فهما بعبارة أخري فرعان من أصل واحد تميزتا بمرور الزمن [٧]

و من المعروف ان اللغة المصرية ، حتي في أقدم مراحلها تحوي عنصرا (بربريا) أوليا و هو عنصر ذو طبيعة عميقة الجذور ، و رغم طبيعة الفعل (السامية) في اللغة المصرية القديمة فإنه حتي في هذا الجانب المهم من اللغة تشارك البربرية بعض الملامح ، و زيادة علي ذلك فإن في اللغتين جذور ضمائر ذات صلة بعضها ببعض ، و هما تصوغان الجمع و الضمائر المنفصلة بنفس الطريقة ، و كلتاهما تصوغان جمع المؤنث باسلوب متقارب للغاية ، و في الاثنتين يستعمل حرف " ن " علامة غير مباشرة ، و فيهما معا تعامل المجردات و اسماء الجمع باعتبارها جموعا قواعدية (نحوية) و إلي جانب هذا الضرب من الصلات فإن مقارنة المفردات المصرية و (البربرية) تظهر أن في اللغتين عددا من الكلمات الأصلية البدئية المشتركة [٨]

و يورد "باتس" مجموعة من الجذور الأصلية مقارنا إياها في اللغتين ، و هي جذور " أصلية " بمعني أنها غير دخيلة ، أو واردة من لغة أخري (العربية أو السامية) فهي أساسية ، محلية ، فإن مقارنة بسيطة بين هذه الجذور و المفردات الناتجة عنها في المصرية و لغة شمال أفريقيا تبين عن عروبتها الواضحة .

مصري	ليبي	المعني
الجذر		
fq	fk	يكأفا
ms	mg	يلد

Msq	mz	يمزق
mt	mt	يموت
bt	bd	يذهب
bS	bz	بصق
Swr	su	يشرب
m	m	ماء
gS	ks	مقص
Msdr	mzغ	يسع
sr	zr	رئيس
msr	mDr	مساء

و لا تزال المقارنات بين اللغة المصرية القديمة و بين مفردات جيرانها الافريقيين لاسيما الليبيين بطوائفهم في الغرب ، و النوبيين و جماعات البجا و الجالا و الهوسا و الصوماليين في الجنوب و الجنوب الشرقي ، أقل حظا في نتائجها من المقارنات بين المفردات المصرية و بين بقية المفردات السامية الغربية ، نتيجة لندرة النصوص الإفريقية القديمة و حداثة دراستها و عدم تسجيل أغلب لهجاتها القديمة بالكتابة إطلاقا و اضطرار الباحثين إلي الاعتماد علي صورها الحديثة ، علي الرغم من اعترافهم بمراحل التطور علي خصائصها القديمة وحورت نطق بعض مفرداتها الباقية و ربما حورت مدلولها أيضا [٩].

وبما أن اللغةَ المصريةَ القديمةَ لغةٌ عروبيةٌ، لا بد أن تكون لغةً ساكنةً كبقية اللغات

(السامية)، بدليل أنها تحتوي على الحروف الحلقية عسيرة النطق كالعين والحاء، فقالوا (توت عنخ آمون) و(بتاح حتب). وهذا عكسُ ما يذهب إليه الباحثون الفرنسيون والإنكليز من فصل الحضارة المصرية عن بقية الوطن العربي، ربما كان ذلك بدافع سياسي على اعتبار أن لفرنسا وبريطانيا مطامعَ

في الشرق العربي، أما العلماء الألمان فكانوا على العكس من ذلك، بحيث التزموا جانب الحياد الذي قادهم إلى اتخاذ جانب الصواب والتحليلُ المنطقي للأشياء[10] وفي هذه الحالة يجب أن تُدرس اللغةُ المصريةُ القديمةُ من قبل باحثين عرب لهم القدرة على فهم أصول اللغات المحلية التي كانت سائدة في المنطقة. ومن ثم سيكتشفون العلاقات والقواسمَ المشتركة وأوجه الشبه، بل المصدر الواحد لكل تلك اللغات بما فيها المصرية القديمة. وقد أدّى خشيم هذا الدور حيث قارن اللغة المصرية القديمة بأخواتها الأكدية والكنعانية، ثم باللغة العربية والليبية القديمة، لربط الصلة بين الجميع، وهذه نماذج من ذلك:

أ= نماذج من الأفعال

لم صريا	الم ع ني	الليبي	العربي
جمي	وجد	إجمي	جميٌ : جمٌّ=كثير،جمأ جمر ، جمل،جمم، الكثرةوالوفرة جمهرة،وكلها عني الجمّة=الشعر الكثير
نجي	انشق و انفتح	إنجي	نجا=قطع(في السومرية : نج=شرب الدواء=نجنج
وبي	شق	إبي	أبب: أبّ=شق
مت	مات	إمت	مِيتة موت،مات،يموت
نو	رأى	إنّي	عين: عاين= شاهد، رأى(رنا،يرنو، رنواً)
إري	عمل	أرو	أري: الأري= العمل[11]

هذا و لم يؤد التقارب بين اللغة المصرية و بين جاراتها في الشرق و الغرب و الجنوب إلي ضياع شخصيتها اللفظية إطلاقا ، و لم تكن المفردات التي ابتدعها المصريون بوحي بيئتهم و بما يناسب مطالب حضارتهم و

يتفق مع أذواقهم و تخيلاتهم ، و علي أية حال فليست المفردات هي السبيل الوحيد لتصوير مكانة اللغة المصرية القديمة بين جاراتها ، و لكن ظلت قواعد نحوها و صرفها أكثر دلالة منها في تصوير الصلات بينهما من ناحية و تصوير شخصية مصر اللغوية المتميزة من ناحية أخري [١٢]، فقد اشتركت اللغة المصرية القديمة مع أخواتها الساميات في خصائص عدة ، كان من أوضحها وجود حرف العين بين حروفها و شيوع المصدر الثلاثي بين أفعالها و غلبة الفعل المعتل الآخر فيها [١٣] و كتابة الحروف الساكنة في كلماتها دون حروف الحركة و إضافة تاء التأنيث في نهاية بعض أسمائها و صفاتها المؤنثة و استخدام حرف الميم ضمن أدوات النفي فيها و في بقية اللغات السامية [١٤] و تشابه ضمير المتكلم المطلق فيها مع ضمير المتكلم عند الأكديين الساميين و أهل فلسطين (فهو في المصرية القديمة *أنك* و في الأكادية *أناكو* و في التوراة *أنج* و *أنوكي* و *أنوخي* [١٥] و تشابه ضمير المتكلم المطلق فيها مع مثله في اللغة العربية حين تأكيده بالأداة *إن*، فهو في اللغة المصرية *إين* و في العربية *إننا* ، و تشابه بعض ضمائر الغائب فيها مع أمثالها عند الأكدين فضمير الغائب المذكر المفرد في حالة المفعول في المصرية *سو* ، و و في الأكدية *شو* ، و ضمير الغائبة المفردة في حالتي المفعول و الإضافة في المصرية *س ، سي* و في الأكدية *شي* [١٦] و ضمير الغائبين في المصرية *سن* و في الأكدية *شن* أو *شونو* ، و في الليبية *سن* [١٧] و علي هذا احتفظت اللغة المصرية بتشبيهاتها البيانية التي خدمت وجوه الحضارة الفكرية و المادية التي طرقتها دون جيرانها أو اكثر من جيرانها .

لاسيما هذا التقاربُ بين اللغة المصرية وغيرها من اللغات(السامية) الأخرى، العربية كثيرا ما لفت أنظار علماء المصريات فلا يجدون مفرا من مقارنة الالفاظ المصرية بالالفاظ السومرية و الاكدية و الكنعانية و حتي العربية و هي كلها لهجات تخاطب بها عرب شمال الجزيرة و جنوبها ، و هذا لا يقلل من شأن اللغة المصرية و لا ينفي عن أصحابها قدرتهم علي الخلق و الابتكار و الاستنباط و تسخير تجارب جيرانهم و أبنا عمومتهم في هذا

الجانب الحضاري الهام و بالتالي فقد يؤكد هذا التقارب اللغوي ثبوت انتماء القدماء المصريين لهذه الأمة التي كان لها السبق في بناء الحضارات .

ولكن أشهر اندماج شهدته اللغة المصرية مع اللغات السامية هو الذي حصل اثناء الغزو الهكسوسي لوادي النيل حيث نشر الهكسوس لغتهم السامية بين المصريين كما تأثروا هم أيضا بلغة المصريين و تقربوا الي معبوداتهم[١٨] و لابد لهذه التمازج أن تؤثر في اللغة المصرية و يطبعها بطابع السامية و الي جانب العلاقات التجارية بين المصريين و الفينيقيين أقام العموريون بعد تأسيسهم لمملكة أوغاريت علاقات وثيقة مع ملوك مصر ، و قد ظهرت تأثيرات لغوية عديدة علي نصوص رأس الشمرا عاصمة الأوغاريتيين ، من بينها تأثيرات لغوية مصرية ، و هذا دليل علي سهولة امتزاج اللغة المصرية باللغات السامية [١٩].

هذه بعض العوامل التي أثرت في اللغة المصرية و تأثرت بها ، و كانت كلها من جهة الشرق ، و أما من جهة الغرب فهناك الليبيون ذوو العلاقة الدائمة و المستمرة مع جيرانهم المصريين ، و قد قيل أن كلا الشعبين من أصل واحد ، من أبناء كنعان ، و المهم هنا هو أن الليبيين و المصريين هم أبناء عمومة إن لم يكونوا إخوة جاءوا من مصدر واحد ، و استقروا بمكان ذي امتداد جغرافي واحد ، و قد أكد الآثاريون التشابه الشديد بين مخلفات الحضارة المصرية و أثار الحضارة الليبية ، و لابد لهذا التشابه من تأثير لغوي منذ القدم ، خصوصا و أن الليبيين تمكنوا ذات يوم من حكم مصر مدة تزيد عن مئتي عام ، هذا إلي جانب غزوات الليبين و هجراتهم المستمرة إلي وادي النيل ، بذا اشترك الليبيون مع إخوانهم المصريين في خصائص عدة من بينها كانت اللغة و الديانة [٢٠]

إذن فالمصريون هم كغيرهم من شعوب ذاك الزمن ، التي تأخذ من جيرانها بعض خصائص لغتهم مثلما تعطيهم –من جانبها– شيئا من خصائص لغتها، و نظرا للتمازج و الاختلاط الذي كان قائما دائما بين تلك الشعوب يصعب علي مؤرخي العصر أن يقرروا انتماء اللغة المصرية إلي أحد العنصرين الرئيسيين السامي أو الحامي ، و قد أطلق "علي فهمي خشيم"

عليها صفة العروبية [21] و هو مصطلح يجمع بين السامية و الحامية إلا أن بعض العلماء و المختصين في التاريخ المصري القديم يرجح كفة السامية علي كفة الحامية علي أساس طريقة الكتابة السامية الاولي [22] حيث يري "سيريل" الدريد أن تزامن ظهور الكتابة في مصر مع الفترة التي قويت فيها لغة الكلام ذات العناصر و المكونات السامية علي حساب اللغة ذات العناصر و المكونات و المركبات الحامية و الليبية و من المحتمل أن هاتين الظاهرتين (ظهور الكتابة و تغلب اللغة ذات العناصر السامية) تتفوق كل منها علي الأخري و قد تغلبت اللغة ذات الخصائص السامية نظرا لأن طريقة الكتابة أو التدوين قد ابتكرت في الاصل لتسجيل الطريقة السامية في النطق و الكلام ٢٣

و يشير بعض علماء المصريات إلي أن اللغة المصرية القديمة كانت ذات صلة قريبة بمجموعة اللغات السامية إلا أنها انفصلت عن أخواتها اللغات الآسيوية في عهد مبكر جدا و تطورت في حدودها الذاتية و يبدو أن الصلة بين المصرية و السامية كانت أقرب مما قيل أنها وجدت بين السامية و اللغات الهند-أوربية ٢٤

و لابد من توضيح هذين الهدفين :

١. موضع مصر القديمة بالنسبة إلي جيرانها .
٢. موضع مجتمعنا الحالي بالنسبة إليها .

و في ضوء هذين الهدفين و ضوء ما سبق ذكره عن تعدد وسائل التقارب بين مصر و جيرانها ، يتضح أن الصبغة السامية ظلت أكثر وضوحا في المفردات المصرية القديمة خلال ثلاث مراحل أساسية ، وهي :

١. مرحلة ما قبل الأسرات التي سبقت العصور التاريخية و استمرت خلال الألف الرابع قبل الميلاد ، و كان جزء كبير من أهل مصر خلالها من نفس جنس أصحاب اللغة السامية الغربية ، وظهرت الفاظ هذه المرحلة في نصوص الدولة القديمة خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، بعد أن اعتاد أصحابها علي الكتابة و أتقنوها .

٢. المرحلة التي بدأت منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، و سبقت عصر الدولة الوسطي ثم استمرت خلالها ، و استقبلت مصر وقتها جماعات متفرقة من الرعاة و التجار و المهاجرين و من عمال المناجم و الارقاء الساميين و اتسعت صلاتها ببلاد الشام حتي أصبحت لغتها مفهومة عند بعض أهل لبنان .

٣. المرحلة التي سبقت بداية الدولة الحديثة ، منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، و استمرت خلالها و اندفعت إلي مصر في أوائلها جماعات سامية عدة تحت ضغط هجرات آرية شماليةو بعد ذلك عصر الهكسوس ، ثم مدت مصر نفوذها السياسي و الحضاري علي نواحي الشام و أطراف العراق منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر قبل الميلاد، وتهيأت لها فرص التوسع في الأخذ و العطاء مع البابليين و الأشوريين و الكنعانيين و الأراميينى و العبرانيين .

و فضلا علي ما تضمنته نصوص هذه المراحل الثلاث ، شاعت في العبارات المصرية الدارجة مفردات سامية كثيرة ، يصعب تحديد أزمنتها و تجاهلتها النصوص الأدبية الرسمية عصورا طويلة حتي سجلتها القبطية منذ القرون الميلادية الأولي .[٢٥]

اللغة الليبية القديمة :

لم يترك لنا قدماءُ الليبيين آثاراً كتابيةً كافيةً لترشدنا إلى لغتهم القديمة فمعظم الوثائق التي تحدثتْ عنهم آانت إما بلغة غير مفهومة، كالرسوم الكهفية(الصخرية) التي لم تصل إلى مرحلة النضج اللغوي وتحلل الرموز إلى كلام ، وإما باللغة المصرية القديمة عندما تهافت الليبيون على مصر ناقلين معهم عقائدهم وأفكارهم التي مكّنتهم من سرعة التأقلم مع الثقافة المصرية قروناً طويلةً من الزمن ، وإما باللغة البونيقية بعد استقرار الفينيقيين بالشمال الأفريقي فتأثر قدماء الليبيين بثقافتهم القرطاجية المشهورة إلى جانب بعض المؤثرات الطفيفة الأخرى التي لا بد أنها دخلت على اللغة الليبية القديمة من

الإغريق (في منطقة برقة) ، ثم من الرومان بعد ذلك ، وفي المقابل قد لا تخلو الآثار الكتابية الإغريقية والرومانية من أي أثر لغوي ليبي محتمل[٢٦].

خصائص اللغة (اللهجات) الليبية القديمة[٢٧]

يبدو أن سكان الكهوف الليبية في عصور ما قبل التاريخ ، كانوا من أصل كنعاني عروبي ، من بلاد جنوب الجزيرة وفلسطين [٢٨]و هذا يدعو الي الاعتقاد بوجود أثر كنعاني عروبي على لغة الليبيين الأولى ، وكنعان هو ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وترجعه التوراة نفسها أحيانا أخرى إلى حام بن نوح ، وفي كلا الحالتين يكون أبناؤه وأحفاده قد عاشوا في زمن ما بعد الطوفان.

وإلى كنعان ينتسب كل العماليق الجبابرة الذين كانوا بفلسطين، ثم انتقل قسم كبير منهم إلي مصر وليبيا، أو إلى ليبيا ثم إلى مصر. غير أن كثيراً من المؤرخين والمهتمين بالحضارات القديمة يرشحون أن هجرة الكنعانيين الأولى كانت في اتجاه ليبيا أولا، يقول: غوتييه "وإذا كان من الواضح أن طريق الحضارة قد سارت من مصر إلى المغرب، فلا يصح ذلك بالنسبة لما قبل التاريخ. فمهما كانت الحضارة المصرية قديمة فقد لزمها وقت من الزمن لتتكون فيه .ولعل سكان الصحراء قد هجروها (أي هجروا صحراءهم) في الطور الرابع بفعل الجفاف ليتمركزوا على ضفاف النيل. وقد دلت النقوش القديمة على التشابه بين المغرب ومصر. ولكن أيهما أثر في الآخر أولا، ابن الطوارق أم المصري؟ أغلب الظن أنه الطارقي، الجدّ الأول لأبناء الطوارق الحاليين"٢٩

و تتضح أسبقية الحضارة بين ليبيا ومصرعن طريق علم اللغة المقارن، حيث تتم دائما مقارنة الألفاظ المصرية بألفاظ ليبية.وقد أكد المؤرخون الأصول الكنعانية لسكان وادي النيل. وبالتالي فالمقارنة بين اللغة الليبية واللغة المصرية تكون منطقية، وذلك نظراً لانتمائهما للغة الكنعانية . غير أنهم يُدرجون اللغتين- أحياناً -ضمن العائلة الحامية في حالة فصلهما عن الكنعانية، ثم يدرجونهما- أحيانا أخرى- ضمن العائلة السامية في حالة مقارنتهما بالكنعانية [٣٠]

و في الشمال الأفريقي فقد احتفظ سكانه بلهجاتهم الأولى التي توارثوها أباً عن جد، والتي يعود تاريخها إلى بداية الوجود البشري على هذه الرقعة الممتدة من النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، والتي أطلق عليها قدماء المصريين ثم الإغريق فيما بعد اسم ليبيا .وعندما ارتحل الكنعانيون(الفينيقيون) إلى أفريقيا الشمالية، اندمجوا في المجتمع الليبي القديم، ومن ثم لم تعد اللهجة الفينيقية لهجة فينيقية خالصة ولم تبق اللهجات الليبية القديمة لهجات ليبية خالصة أيضاً . وعلى هذا الأساس يشير البعض أن" لهجات ليبيا من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات السامية "٣١ ويرجع البعض الآخر اللهجات الليبية إلى ثلاثة مصادر أساسية" :اللهجة الزناتية (ليبيا وتونس والجزائر ما عدى لغة القبائل)، اللهجة المصمودية (شلح المغرب بجبال الأطلس وبلاد السوس) اللهجة الصنهاجية(القبائل بالجزائر والطوارق بالصحراء)٣٢ و علي هذا لا يمكننا أن نسمي اللغة الليبية لغةً بمفهومها المطلق، لأنها كانت لهجات تقترب وتبتعد عن بعضها البعض بحسب قرب وبعد القبائل الليبية. ولكنها– رغم كل ذلك – فهي متشابهة، تماماً مثل لهجات العرب الأخرى قبل الإسلام .يقول (جوليان) : "ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديماً في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك باستعمال لغة واحدة في البلاد كلها، في أغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحياًالليبية"٣٣ ويتفق كثير من العلماء على أن اللغة الليبية الأولى أختُ المصرية القديمة.٣٤

و من المحتمل وجود أثر مصري علي الكتابة الليبية القديمة ، أي قبل مجئ الفينيقيين إلي ليبيا ، اذ يبدو أن الليبين كانوا يستعملون كتابة خاصة بهم ، ربما أخذوا أصولها الأولي من إخوانهم و جيرانهم المصريين ، و لانستبعد أن الجرمانتيين (سكان منطقة فزان بالجنوب الليبي) هم أول من استعمل كتابة استمدت أصولها الأولي من فروع الكتابة الهيروغليفية خصوصا الهيراطيقية ، و هذا الاعتقاد تؤيده العلاقات التي كانت تربط الجرمنتيين بالمصريين خصوصا الصعيد ، حيث وجدت كتابات بمدينة جرمة عاصمة الجرمنتيين تعتمد علي الخطوط التي تشبه تلك التي وجدت بصعيد

مصر ، و كنتيجة للصلة التجارية التي كانت تربط قبائل الجرمنت بالجنوب و قبائل السواحل بالشمال عبر طرق القوافل ، التقت الكتابتان الجنوبية و الشمالية لتشكلا الكتابة الليبية التي تحدث عنها المؤرخون ، خصوصا و أن في تلك الفترة الزمنية كانت الحاجة ماسة للتعامل بلغة الأرقام و الرموز و تدوين المعاملات التجارية من بيع و شراء و مقايضة و غيرها من الأمور التي تعجز ذاكرة الإنسان علي الاحتفاظ بها ، فيضطر إلي توثيقها بأية وسيلة . و هذا ما حصل فعلا مع كل الشعوب التي سبقت الليبيين إلي الكتابة و التدوين .

واذا حصل أي تأثير مصري علي الكتابة الليبية فلابد أن يكون في زمن بعيد جدا ، قبل أن يتشكل الخط النوميدي و الخط البونيقي من بعده ، أي في زمن كانت فيه صلة المصريين بالليبيين في جهة الشرق أوثق من صلتهم بالليبيين في جهة الغرب ، و ذلك بحكم قربهم منهم و احتكاكهم بهم و التعامل المباشر معهم ، و قد تحدث هيرودوت عن العلاقة التي كانت تربط ليبيي الشرق بملوك مصر خصوصا الصعيد ،كما أن بعض الرموز الخطية (أي المؤلفة من خطوط) التي وجدت علي الأواني الفخارية المصرية القديمة تتطابق مع تلك الموجودة في الرموز الليبية و الطوارقية ، و المعروف أن الكتابة التوارقية هي آخر صورة من صور الكتابة الليبية . و علي هذا فإن ليبيي الشمال استعاروا رموز الكتابة التي استعملها ليبيو الجنوب بما فيها من أثر مصري لازال عالقا بالكتابة الليبية حتي اليوم ، رغم بعد الزمن و مراحل التطوير و التغيير ، و هذا ما جعل المؤرخين يؤكدون الأصل المصري للكتابة الليبية ٣٥

و لابد للصلات الحضارية التي كانت تربط الليبيين مع جيرانهم وأبناء عمومتهم المصريين أن تصاحبها مؤثرات ثقافية متبادلة بين الشعبين. وفي هذا الخصوص يمكننا ملاحظة الشبه الكبير بين حروف قدماء الليبيين وقدماء المصريين خصوصاً الكتابة الهيراطقية بما في ذلك الرموز التي لا تتوافق في المعنى اللفظي للحرف في كلا اللغتين ،ومن هنا، نلاحظ أن

الليبيين القدامى قلّدوا أو حرّفوا أو اقتبسوا معظم أحرفهم من الكتابة المصرية في قليل من الرموز.[٣٦]

و قد أكد قرب اللغة الليبية من اللغة المصريةالعديد من المؤرخين و اللغويين خصوصا في الفترة السابقة للدولة القرطاجية ، و قال عنها المغاربة بأنها لغة تمتاز عن اللغات الشرقية غير الحامية بخصائصها و أساليبها ، و هي قريبة من اللغة المصرية التي لا تزال في بلاد النوبة و في بعض الكنائس القبطية في مصر ، و أنها كانت مرنة تقبل كل الالفاظ الدخيلة فتصبح جزءا منها [٣٧] و هذا دليل علي سرعة تأقلمها مع كل اللغات الدخيلة عليها و الداخلة فيها لاسيما اللغة المصرية [٣٨]
و عندما نرجع اللغة الليبية القديمة إلي أصولها الأولي نجد أنها تبتدئ بالكنعانية و عندما هاجر الليبيون (لهابيم) إلي الشمال الأفريقي كانت لغتهم الأولي بالتأكيد كنعانية و عند اختلاطهم بجيرانهم المصريين تأثرت لغتهم باللغة المصرية القديمة التي لابد أن يكون لها أصل كنعاني أيضا ، إلي أن جاء الفينيقيون و اختلط لسانهم باللسان المحلي ، فظهرت اللغة البونيقية ، و استعملت إلي جانب اللغة النومدية ، ثم أثرت الهجرات اليمنية في اللغة الليبية ، حيث جاءت تلك الموجات البشرية بلهجات اليمن ذات الأصل الفينيقي و اختلطت باللغتين البونيقية و النوميدية و بقيت هكذا إلي أن جاء العرب الفاتحين بلغة القرآن الكريم [٣٩]

و نستخلص مما سبق أن اللغة الليبية القديمة و التي أرجعها بعضهم إلي أصول اللغات الحامية بدأت مع مرور الزمن و توالي الهجرات السامية و العربية من شبه الجزيرة تتجه اتجاها آخر و تؤول شيئا فشيئا إلي لغة ذات مؤثرات سامية ثم عربية فلغة الليبيين و اللغات السامية تمت إلي أصل واحد و تعرف بالمجموعة الأفروآسيوية و لكن تكون القرابة اللغوية قائمة دون أن تستند إلي شئ من القرابة الروحية بين العرب و سكان أفريقيا [٤٠] و لعل التأثير الفينيقي علي اللغة الليبية قد مهد الطريق أمام المفردات القحطانية لتنصهر في اللغة البونيقية و النوميدية الجديدة [٤١]

و يري " لوفيبر " قضية العلاقة بين المصرية و اللغات المجاورة إلي أن اللغة المصرية تنتمي إلي ما يسميه (عائلة اللغات الحامية – السامية) التي تنقسم إلي أربع مجموعات :

١. المجموعة السامية (الاشورية – البابلية، أو الأكادية ، الفينيقية ، العبرية ، الآرامية ، العربية و العربية الجنوبية ، الأثيوبية)
٢. المجموعة الليبية – البربرية ، لهجات شعوب قديمة و حديثة تعيش غرب مصر علي شواطئ البحر المتوسط أو في الصحراء .
٣. المجموعة الكوشية (وتشمل البجاة و البشارة ، و كذلك لغات الحبشة غير السامية ، الصومالية ....إلخ)
٤. اللغة المصرية القديمة .

و يضيف " لوفيبر" أن اللغات التي تشكل المجموعات الثلاث الأخيرة ، و هي التي يدعوها "لبسيوس" (اللغات الحامية) قد تعتبر في جملتها نتاجا لتداخل كلام الأفارقة البدائين ، سكان البلاد الأصليين ، و (السامية) الأولي التي دخلت شمال و شمال شرق أفريقيا عند نهاية فترة طويلة من الزمان سبقت العصور التاريخية ، عن طريق غزاة ربما قدموا من شبه الجزيرة العربية و من هنا فإن اللغة المصرية تحمل طبقة لغوية تحتية أفريقية (ليبية بالأحري) تسربت إليها و حورتها تأثيرات (سامية) قوية .

و يتفق " لوفيبر" مع "بدج" بأن الطبقة التحتية (الأفريقية) هي طبقة ليبية و عليه فاللغة المصرية لغة أفريقية تأثرت بالسامية و ليست لغة سامية دخلتها تأثيرات أفريقية وقد افترض بروجش أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية [٤٢] وفسر إرمان أوجه الشبه بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين[٤٣] وشبيه بهذا أمر العلاقة بين اللغات السامية وتلك اللغات المسماة بالحاميةحيث كان البعض يجعل: لغات البربر، والنوبة ولغة الهوسا والفولبا، واللغات الكوشية مثل: لغات البشارية، والبجه، والماهو، والجالا، والصومالية وغيرها ضمن أسرة لغوية واحدة، أطلقوا عليها اسم الأسرة الحامية، وقد أدت دراسة أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغات

السامية إلى افتراض أنها جميعًا تكون أسرة لغوية كبرى وأن اللغات الحامية قد انفصلت عن اللغات السامية في وقت مغرق في القدم، فشق كل فرع لغوي طريقه المستقل في التغيير اللغوي، ويقول هذا الرأي أيضا بأن اللغة المصرية القديمة قد انفصلت عن الأسرة الكبرى في مرحلة تالية، واحتفظت لذلك بقدر أكبر من الملامح المشتركة مع اللغات السامية [٤٤] و ما دفع " لوفيبر" و بعض الباحثين إلي أن " الليبية " قديمها و حديثها المتمثل في ما يسمي (البربرية) بمختلف لهجاتها لا تنتمي إلي (السامية)[٤٥] و البحث الدقيق في النصوص الليبية علي النقوش التي عثر عليها متناثرة علي طول شمال أفريقيا ، و بعضها يرجع إلي القرن الثالث قبل الميلاد و كذلك الدراسة المتأنية للهجات شمال أفريقيا المعاصرة ، يثبتان أن القديم و الحديث من هذه اللغة عروبي و بذا تأثرت الغة المصرية بالليبية كما ذكر " بيتس" في بداياتها تأثر عروبي (أو هو تداخل) و ليس أفريقي بمعني خاص [٤٦]

و قد اهتم اللغوي الألماني "روسلر" ببحث لغة النقوش الليبية القديمة المسماة بالنقوش النوميدية وأثبت روسلر بما لا يقبل الشك أن اللغة النوميدية لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تختلف إلى حد كبير عن باقي اللغات السامية [٤٧] واستطاع روسلر أن يفسر كثيرًا من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة النوميدية القديمة باعتبارها تغيرات حدثت فيها بعد انفصالها عن الأصل القديم المشترك. لاحظ روسلر عدم وجود أصوات حلق في اللغة النوميدية. لكنه فسر هذا باعتبار أن النوميدية عرفت أصوات الحلق قديما بدليل وجودها في اللغة الصومالية التي تمت بصلة القرابة مباشرة للغة الليبية القديمة. فوجود أصوات الحلق في الصومالية دليل على أنها كانت موجودة في اللغة النوميدية في أقدم مراحلها. وقد أوضح روسلر اشتقاق كثير من الكلمات النوميدية على أساس المقارنة باللغات السامية في المشرق، فكلمة "بِ ُن" بكسر الباء أو ضمها تعني في النوميدية واللغات البربرية التي تطورت عنها ما يعبر عنه في اللغات السامية بالمشرقية بكلمة "بيت" ومعنى هذا أن اللغة النوميدية اشتقت من المادة

اللغوية الخاصة بالبناء كلمة تدل على البيت، بينما اشتقت اللغات السامية المشرقية من نفس المادة اللغوية كلمات تدل على الاتصال الجنسي بالمرأة والإنجاب منها، ونجد كلا المعنيين في المادة العربية "بنى": بنى البيت، بنى بالمرأة، فكأن الفعل العربي "بنى" ضم المعنيين: بناء البيت، والبناء بالمرأة أي الدخول بها والإنجاب، أما الكلمة العربية "بيت" فترتبط بالفعل "بات" أي قضى الليل، أي أنها من مادة لغوية مخالفة، وتثبت المواد اللغوية النوميدية التي بحثها روسلر أن اللغة النوميدية لغة سامية قديمة، ولكنها خضعت لمؤثرات إفريقية جعلتها تتخذ طابعها الخاص المتميز.

وهكذا أوضحت الأبحاث حول اللغات السامية بالمعنى الضيق، واللغة المصرية القديمة، واللغة النوميدية أو الليبية القديمة أوجه الشبه بين كل هذه اللغات. وترجع صعوبة البحث في هذا الموضوع إلى طبيعة المادة المدونة المتاحة، فالمادة المتاحة باللغة المصرية القديمة مدونة في أكثر الأحوال بخط صوري لا يعكس الخصائص الصوتية، والنقوش النوميدية قليلة جدًّا وتزيد هذه الصعوبة إذا أدخلنا في مجال المقارنة اللغات الأخرى، في الأسرة الأفروأسيوية ومنها اللغات الكوشية واللغات التشادية [٤٨] ومشكلة هذه المقارنات أنها لا يمكن أن تقارن بالمنهج التاريخي المقارن المتعارف عليه في بحث اللغات القديمة، فكثير من هذه اللغات لم يدون إلا منذ سنوات معدودة، ومن الطبيعي ألا يجد الباحث أوجه شبه كثيرة بين هذه اللغات القديمة البائدة والحديثة التي لم تكد تدون. شأن هذا البحث شأن من يقارن اللغة الفرنسية واللغة الروسية المعاصرة باللغة السنسكريتية وهذه مشكلة عامة في تصنيف اللغات الإفريقية وغيرها من اللغات التي ليست لها نصوص قديمة مدونة، وقد أثبت اللغوي الأمريكي "جرينبرج" وجود سمات بنوية مشتركة في كل أفراد الأسرة الأفروأسيوية: السامية، والبربرية، والمصرية القديمة، والكوشية، والتشادية، وأهم هذه السمات: التمييز بين المذكر والمؤنث باستخدام التاء للتأنيث، واستخدام النون للربط بين وحدتين صرفيتين، مثل نون الوقاية في العربية، ووجود الضمائر المتصلة، واستخدام الواو كصوت علة يسقط كثيرًا، وتكوين عدد من المشتقات بأبنية تبدأ بالميم

مثل اسم المكان واسم المفعول في العربية [٤٩] وكل هذه الدراسات الصعبة توضح أن اللغات السامية ليست أسرة لغوية مستقلة كل الاستقلال، وأغلب الظن أنها تشكل فرعًا من الأفرع الخمسة للأسرة الأفروأسيوية[٥٠] *.

و يذكر " لوفيبر" عدة مقارنات مهمة : الأولي في بيان علاقة اللغة المصرية من جهة و اللغات السامية و الليبية- البربرية و الكوشية من جهة أخري ، و تتلخص في النقاط المشتركة التالية :

١. من الناحية الصوتية : سيادة الحروف الساكنة علي الحروف المتحركة و كثرة الحروف الحلقية (العين ، الحاء، الخاء ..الخ).
٢. أهمية الجذور (الصوامت الأساسية) في الأسماء و الأفعال المشتقة .
٣. في الأسماء: علامة التأنيث التاء (ت – ا ت) و علامة الجمع الواو .
٤. في الضمائر المتصلة أو الاسنادية : خاصة في المذكر المفرد المخاطب (ك) و المفرد المتكلم (ي) و الجمع (ن) .
٥. في الضمائر المنفصلة : رغم تعقدها يمكن ملاحظة التطابق الموجود في ضمير المتكلم المفرد في اللغة المصرية (إ ن ك) **ink** و القبطية : (أنك)**anok** و العبرية : "أنوكي" **anoki** و الأكادية : **anaku** و البربرية : " إنك " **ink**.[٥١]

أما المقارنة الثانية : فهي عن التطابق بين اللغة المصرية و اللغات الأخري من العائلة اللغوية المذكورة (مع استثناء السامية) و هي تتلخص في ما يلي :

١. الأعداد الوفيرة من الأصوال اللفظية المشتركة بين المصرية و اللهجات البربرية خاصة في اللهجة التارقية ، و التطابق الملحوظ في أنماط جذور الأفعال المختلفة مثل:

اللغة المصرية : **gmi** وجد ، التارقية : **egmi**

اللغة المصرية: **srq** استنشق ، التارقية : **esreg**

٢. صياغة الأفعال في صيغة المبالغة بـ :

• مضاعفة الجذر كله مثل :

اللغة المصرية : " ن د " nD سأل ، " ن د ن د " nD nD "

انتصح ، أخذ بالمشورة البربرية : gemi " بحث "chercher"

gemi gemi" القيام بالبحث faire de chercher"

• مضاعفة الحرفين الأخيرين من الجذر الثلاثي مثل :

اللغة المصرية : "ح أ ج" HAg فرح

" ح أ ج ح أ ج" HAg Hag " فرح شديد "

البربرية : kusem مملح .

kusem kusem ملح جدا .

٣. وجود الاضافة الغير مباشرة بواسطة النون و هي في البربرية ضمير إشاري كما هو الحال في بعض اللهجات السامية .

أما المقارنة الثالثة فيخصصها " لوفيبر " للعلاقة بين اللغة المصرية و اللغات السامية و هي لا تتعدي ثلاث نقاط :

١. هذه العلاقة تبدو في ما يتصل بالمفردات التي تمثل تقريبا ثلاثمائة جذر مشترك بين المجموعتين [٥٢] و ضمن الجذور المشتركة نميز في عدد وافر منها جذورا ثلاثية ، وهذه الجذور الثلاثية تلاحظ أيضا في الكوشية و الليبية – البربرية .

٢. توجد في اللغة المصرية كما في السامية صياغة الصفة بما يسمي " النسبة " بإضافة الياء في نهاية الأسماء أو الحروف و هي تلقائية في الأسماء .

٣. توجد في اللغة المصرية صياغة باللواحق تشبه في الجملة الماضي التام في اللغة السامية ربما تقارب الماضي المستمر في الأكادية و تقارب في قسم منها نوعا من النعت الذي يقابلنا في البربرية في بعض الأفعال المشيرة إلي ظرف أو نعت أو حال [٥٣]

و يلاحظ " علي فهمي خشيم " بعض الملاحظات :

١. ما يتعلق بمقارنته المصرية بما يدعوه اتباعا لـ " لبسيوس " : اللغات الحامية أي المجموعة الليبية –البربرية و المجموعة الكوشية ، و

واضح أن هاتين المجموعتين علي صلة وثيقة بالعربية ، و قد ذكر " لوفيبر" نفسه أن لغات هاتين المجموعتين تكونت عن طريق هجرات ربما قدمت من شبه الجزيرة العربية إلي شمال أفريقيا و شمالها الشرقي ، و طبيعي أن تكون اللغة المصرية في قلب المسألة سواء جعلناها ضمن المجموعة الحامية كما يسميها " لبسيوس" أو منفصلة بذاتها كما فعل " لوفيبر" .

٢. حول ما يسمي المجموعة (السامية – الحامية)التي تضم المجموعات المذكورة من قبل و هو ما يراه " لوفيبر" و كان ذلك اعترافا بتطابق ما أسموه المجموعتين " الحامية" (و تشمل الليبية – البربرية و الكوشية) و " السامية" (وتشمل البابلية بأقسامها و الكنعانية و الأرامية بفروعها و العربية شمالها و جنوبها و الحبشية) .

٣. ما يخص المفردات التي تخيرها " لوفيبر " لمقارناته مع المصرية فهو لم يشر إلي العربية في كل المقارنات صرفا و نحوا و مفردات سوي مرة واحدة في ذكر العربية (أنت تكتب ، كتبت) ضمن اللغات الأخري ، و يري " لوفيبر" أنه علي الرغم من القرابات الثابتة فعلا بين المصرية و اللغات ذات النسب بها فإن الجزء الأكبر منها مكون من عناصر أصلية (محلية) ، هذه هي الميزة الأولي التي رأي أن المصرية تميزت بها ، أما الخاصية الثانية التي تفردت بها عن غيرها من اللغات فهي تصريفها الخاص ، إذ هي لا تملك الصياغة الفعلية بالسوابق و لا تماثل الماضي الناقص (السامي) أو الصيغ المشابهة في البربرية و الكوشية بل علي العكس هي تقدم اللواحق و هو نظام غير معروف في المجموعات الأخري من اللغات (الحامية – السامية) و ذلك بإضافة لواحق الضمائر بتنوعات كثيرة ، مما يبين بجلاء عن أصل أفريقي [٥٤].

و نستخلص من البحث :

١. الكتابة لها أهميتها التاريخية، فهي الأداة التي تصوّر اللغة وتجعلها مرئية ومقروءة، كما أنها وثيقة حية تعبّر عن شخصية اللغة وأصحابها، وتضفي عليهم السمة الحضارية والثقافية الضرورية لمعرفة تاريخهم وأصولهم وانتماءاتهم الأولى.
٢. التقارب بين اللغة المصرية و الليبية لم يكن نتيجة عامل واحد و انما ترتب علي عوامل متشابكة كثيرة منها وحدة الجنس بين مصر و ليبيا و عامل الاختلاط اللغوي بين أهليهما عن طريق التبادل التجاري و خلال فترات المد السياسي ، ثم عن طريق شيوع لهجات الرقيق و العمال و الاسري الذين استقروا في مصر.
٣. لهجات ليبيا من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات السامية.
٤. الليبيين القدامى قلّدوا أو حرّفوا أو اقتبسوا معظم أحرفهم من الكتابة المصرية في قليل من الرموز.
٥. اللغة الليبية القديمة و التي ترجع إلي أصول اللغات الحامية بدأت مع مرور الزمن و توالي الهجرات السامية و العربية من شبه الجزيرة تتجه اتجاها آخر و تؤول شيئا فشيئا إلي لغة ذات مؤثرات سامية ثم عربية فلغة الليبيين و اللغات السامية تمت إلي أصل واحد و تعرف بالمجموعة الأفروآسيوية و لكن تكون القرابة اللغوية قائمة دون أن تستند إلي شئ من القرابة الروحية بين العرب و سكان أفريقيا.
٦. اللغة المصرية تحمل طبقة لغوية تحتية أفريقية (ليبية بالأحري) تسربت إليها و حورتها تأثيرات (سامية) قوية .

مراجع البحث

---

[١] عبد العزيز سعيد الصويعي : عروبة اللغة الليبية القديمة و كتابتها (مقاربة بين العربية و الأمازيغية)، رسالة دكتوراة ، دمشق ، ٢٠٠٩ ، ص. ٩ .

[٢] نفس المرجع ، ص.١٤-١٥.

[٣] **Bates ,O., The Eastern Libyans , pp.81-84 .**

[٤] عفراء علي الخطيب : دور الرسوم و النقوش الصخرية في تشكيل الكتابات البدائية في شمال أفريقيا و الصحراء الكبري و شبه الجزيرة العربية ، دراسات في آثار الوطن العربي ، المؤتمر الخامس ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص. ١٩٠ .

[٥] نفس المرجع ، ص. ١٩٣-١٩٦ ؛ موري تادرارت أكاكوس : الفن الصخري و ثقافات الصحراء قبل التاريخ ، طرابلس ، ١٩٨٨، ص. ٢٥٥ ؛ **Champs, G.,Ecuiture Lbyque in Encyclopedie Berbere , T.17,1996,pp.2564-2587**

[6] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص. ١٥ .

[7] محمد متولي بدر : اللغة النوبية ، القاهرة ، ١٩٥٥، ص. ٥، ٤٥ .

[8] Bates ,O., The Eastern Libyans , pp.81-84 .

[9] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها، ص ٢٢.

[10] علي فهمي خشيم : آلهة مصر العربية ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٩٨، ص.٧-١٥.

[11] Zyhlarz, E., Konkordanz ägyptischer und libyscher Verbalstammtypen, ZÄS 70 (1934) 107 ff

عبد العزيز سعيد الصويعي:المرجع السابق ، ص.٤٨

[12] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها، ص٢٧.

[13] Sethe, K., Das aegyptische Verbum im Altaegyptischen, Neuaegyptischen und Koptischen. - Leipzig 1899-1902 ; Albright, W F., The principles of Egyptian phonological development KRecTrav 40 (1923) 65; Thacker, T. W., 1954, The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal Systems, Oxford, 47f.

[14] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها، ص٢٧.

[15] Barton, G, A., Semitic and hamitic origins, social and religious. - Philadelphia , 1934 ,Tab.1

[16] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها ، ص ٢٧.

[17] Op.Cit ., Sethe, K., Die Vokalisation des Ägyptischen, ZDMG 77 (1923)155. Barton, G, A.,

[18] عبد الغفار حامد هلال :أصل العرب و لغتهم بين الحقيقة و الاباطيل ،القاهرة ،١٩٩٦، ص،٣١.

[19] هنري عبودي : معجم الحضارات السامية ، لبنان ، ١٩٩١، ١٦٥.

[20] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبي ، ليبيا ،١٩٩٩، ص١٢٤، علي فهمي خشيم : نصوص ليبية ، ليبيا ، ص٦١.

[21] علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية ، ص٩٩.

[22] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبي ،ص ١٢٥ .

[23] سيريل ألدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة : مختار السويفي ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص٦٥.

[24] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبي،ص ١٩٥.

[25] عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة و آثارها، ص ١٥-١٦.

[26] عبد العزيز سعيد الصويعي: عروبة اللغة الليبية القديمة و كتابتها ، ص٨١

[27] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول اللغة الليبية القديمة، لبنان،٢٠٠٣.

[28] عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر، ١٩٨٢،ص.١١

[٢٩] غوتييه ماضي شمال أفريقيا ، تعريب هاشم الحسيني، ليبيا، ١٩٧٠ ، ص.٣٣.

[٣٠] عبد العزيز سعيد الصويعي : عروبة اللغة الليبية القديمة و كتابتها (مقاربة بين العربية و الأمازيغية)، رسالة دكتوراة ، دمشق ، ٢٠٠٩ ، ص١٠٣.

[٣١] شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة، تونس، ١٩٦٩ ،ص٥.

[٣٢] أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ ، ج1 ، تونس،ص٤٥.

[٣٣] شارل أندري جوليان:نفس المرجع ، ص ٦٦.

[٣٤] عبد العزيز سعيد الصويعي : عروبة اللغة الليبية القديمة و كتابتها ،ص١٣٣.

[٣٥] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبيي ، ص ٣٥٧ ، أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر و المغرب الأدنى ،القاهرة ، ١٩٩٢، ص٢٣٢.

[٣٦] عبد العزيز سعيد الصويعي : عروبة اللغة الليبية القديمة و كتابتها ،ص١٩٣.

[٣٧] محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ،ج ١، القاهرة ١٩٦٤، ص٤٩.

[٣٨] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبي ،ص١٣٦.

[٣٩] عبد العزيز سعيد الصويعي: أصول الحرف الليبي ،ص١٥٢.

[٤٠] محمد عوض : الشعوب والسلالات الأفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٣٣٨.

[٤١] هنري عبودي : معجم الحضارات السامية ، لبنان ،١٩٩١، ص٦٨٢.

[٤٢] Brugsch, H., Hieroglyphisch-demotisches , Leipzig , 1867 , Bd. 1 , IX.

[٤٣] Erman, A.,Das Verhältnis des Ägyptischen zu den semitischen Sprachen. ,ZDMG 46 (1892) 125

[٤٤] , II,312-41; Cohen, M., Essai comparatif sur le vocabulaire et la phonétique du chamito-sémitique, Paris, 1947.

[٤٥] Lefebvre,G.,Grammaire de l’Egyptien Classique , le caire , 1945,pp.1-5 .

[٤٦] علي فهمي خشيم : آلهة مصر العربية ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٩٨، ص . ١٣٢ .

[٤٧] Rössler,O., Der Semitische Charakter der Iibyschen sprache, Zeitschrift fur Assyriologie,Berlin, 50(1952).p.121-150.

[٤٨] Greenberg,J.H., Languages of Africa. Indiana University 1966 p. 42-65

[٤٩] Ibid.,p.46-48.

*** اللغات الأفروأسيوية**

يطلق مصطلح الأفروأسيوية على مجموعة كبيرة من اللغات في غرب آسيا وشمال وشرق إفريقيا ومنها اللغات السامية١. ويعني تصنيف مجموعة من اللغات في أسرة لغوية واحدة اشتراك هذه اللغات في عدد من الخصائص البنيوية باعتبار هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد تفرعت عنه، ثم تباعدت خصائصها بعد ذلك علي مدى التاريخ. ومعنى هذا أن اللغات

العربية والأكادية والكنعانية والآرامية والحبشية فرعًا من أفرع أسرة لغوية كبيرة، تضم أيضا اللغات المصرية القديمة والبربرية والتشادية والكوشية. ويقوم تصنيف اللغات في أسرة لغوية واحدة على أساس الخصائص المشتركة، وكلما تقاربت هذه الخصائص بين لغتين أو أكثر كونت اللغتان فرعًا لغويًا داخل الأسرة اللغوية، وتقل الخصائص المشتركة بالضرورة كلما بحثنا العلاقات بين فرع لغوي وآخر، ولكن وجود قدر مشترك من الخصائص بين هذه اللغات جعل الباحثين المعاصرين يميلون إلى اعتبار اللغات السامية جزاء من الأسرة اللغوية الآفروأسيوية.

- محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ، القاهرة ، ص. ١٣١-١٣٢

[٥٠] لا يدل مصطلح الأفروأسيوية عند جرينبرج على ما كان غيره يصفه بمصطلح الحامية السامية فهناك اختلافات بين رأيه في تصنيف اللغات ورأي الباحثين السابقين عليه، فاللغة القولانية لا تدخل في تصنيف جرينبرج ضمن اللغات الأفروأسيوية بينما جعلها باحثون آخرون من اللغات الحامية. ولم يكن ثمة يقين حول انتماء لغة الهوسا إلى السامية-الحامية وقد أثبت جرينبرج أن لغة الهوسا وباقي اللغات التشادية تكون فرعًا من أفرع المجموعة اللغوية الكبرى "الأفروأسيوية .Greenberg,J.H.,Op.Cit., p.45

[٥١] Mercier,M., Vocabulaire et texts berbere , p.415.

[٥٢] Watterson , B., Introducing Egyptian Hieroglyphics, Edinburgh, 1981 , p.44.

[٥٣] Lefebvre,G.,Grammaire de l’Egyptien Classique , le caire , 1945,p .5 .

[٥٤] علي فهمي خشيم : آلهة مصر العربية ، المجلد الأول، ص -١٣٨١٣٧.